جامعة تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم الآثار السنة الجامعة: 2021 – 2022

المستوى : ماستر1 السداسي : الأول التخصص: الآثار الإسلامية

عنوان المقياس: العمارة في المشرق الإسلامي

أستاذ المادة : أ.د بلحاج معروف

Email:archeomarouf@gmail.com

عنوان الدرس: عمارة البيوت في المشرق الإسلامي

عمارة البيوت في المشرق الإسلامي

كان الهدف من وراء الجهود التي بدلها الإنسان في سبيل بناء مسكنه تحقيق حاجته في الحصول على مأوى يحس فيه بالأمن والراحة والاستقرار، ثم سعى بعد ذلك إلى توفير شروط إضافية مثل الرفاهية والجمال، وكان تحقيق كل ذلك يختلف باختلاف الزمان والبيئة ومستوى الفرد من حيث الفقر والغنى، وكان المسكن دائما يحمل في عمارته المظاهر الثقافية والحضارية للأسرة والمجتمع الذي شيد في وسطه.

إن لكل بيت شخصيته ومميزاته وطابعه المعماري الخاص، وذلك نبعا لطبيعة الأرض والمناخ وحاجات ورغبات الإنسان الذي يسكنه، إضافة إلى محاولة التجديد والابتكار لدى المعماري.

التصميم:

يتألف البيت بشكل عام من وحدات سكنية تحيط بالصحن موزعة على طابقين عموما **ويستثنى** من ذلك بيوت الحجاز (مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة) وبيوت صنعاء في اليمن التي يطلق عليها اسم "بيوت الأبراج" نظرا لتعدد طوابقها، وهي خالية من الصحن التقليدي، وتعتمد في تهويتها وإضاءتها على الفتحات الخارجية وعلى الملقف الذي يتوسط البناء.

يتألف بيوت الأغنياء والأمراء عموما من ثلاثة أجنحة مستقلة الحرملك (جناح الحريم والأسرة) والسلاملك (جناح الضيوف) وأخيرا حناح الخدم، وقد زود البيت بإسطبل للحيوانات، ولكل جناح من تلك الأجنحة صحنه الخاص الذي يتوسطه غالبا حوض مائي أو فسقية مع اختلافها من حيث المساحة والتنظيم.

مواد البناء:

استخدمت في البيوت الإسلامية مواد مختلفة فحيثما توفرت مقالع للحجارة تستخدم الحجارة المنحوتة أو غير المنحوتة كمادة أساسية في البناء، كما في بيوت حلب ودمشق والوصل والقاهرة وغيرها، ويستعمل الطوب في بعض مدن الخليج واليمن والحجاز.

وقد يمتزج الحجر بالطوب في مصر ونجد الحجر المغطى بالكلس تتخلله عروق خشبية كما في بيوت جدة وقد تمتزج العروق الخشبية باللبن، وقد تبنى المساكن بالتراب المدكوك (الطابية).

ويمتاز البيت الإسلامي بسماكة جدرانه الخارجية، مما يساعد في التخفيف من شدة الحر أو البرد، علما بأنه لا يتعرض للأجواء الخارجية إلا أجزاء محدودة من البيت، وذلك لاندماج معظم الأجزاء الأخرى مع الجيران.

وقد استخدم الخشب في تشكيل الأبواب والمشربيات والسقوف المستوية.

المظهر الخارجي للبيت الإسلامي:

من التقاليد المعمارية للبيت الإسلامي أن لديه واجهة واحدة أو اثنتين بسبب اتصاله مع البيوت المجاورة، ويتصف الواجهات عموما بالبساطة في عناصرها المعمارية والزخرفية إذا ما قورنت بما في الداخل من عناية وجمال فني رفيع المستوى، فهي خالية من الفتحات المطلة على الخارج باستثناء تلك الفتحات الضيقة فوق مستوى الرؤية، وعندما شاع استخدام النوافذ في الطابق العلوي وضعت لها جواجز بحيث تسمح بمرور الضوء والهواء وعرف هذا النوع من النوافذ باسم المشربيات.

واستخدمت الحواجز بارزة عن النوافذ في بيوت القاهرة لتغطية الفتحات المطلة على الشوارع والصحون، ولعل السبب يعود إلى شد الحرارة والرغبة في التخفيف من وطأة الشمس، وهناك عامل اجتماعي يتعلق بحرمة الدار حيث تسمح المشربيات للنساء بالإطلالة على الخارج دون أن ترى.

وقد اعتنى الفنان المسلم بعنصر المشربيات فأبدع في زخرفتها، وزودت قاعدتها على العموم بفتحات لوضع القلل وجرار الشرب، وتشيع هذه المشربيات الخشبية في العهد المملوكي مثل ما هو موجود في وكالة الغوري وبيت قايتباي، وتكون أكثر بروزا في العهد العثماني كما هو الشأن في بيت السحيمي وبيت الكريتيلية في القاهرة، وانتشر هذا العنصر المعماري تحت اسم الروشان في بلاد الحجاز، وتحولت المشربيات إلى بروزات تطل على الشارع مثل ما هو الشأن في بيوت دمشق القديمة، وقد يزداد هذا البروز ليتحول إلى قاعة تركب الطريق أو الزقاق وتصل بين طرفيه وتفتح الشبابيك في الجانبين المتقابلين المطلين على الشارع، ويكثر هذا النموذج في بيوت العراق وسورية.

المدخل:

يكون بشكل عام مفتوحا نحو الشارع أو الدرب الضيق ويؤدي إلى ممر كي لا يفتح على الصحن مباشرة محافظة على خصوصية البيت، وعموما يكون الممر منكسرا لهذا الغرض، ويغلق الباب بمصراع خشبي متين قد يزود أحيانا بفتحة صغيرة "خوخة"، ويحيط الباب إطار حجري قد تكون الحجارة ملونة، وقد يزود المدخل بدكتين حجريتين للجلوس.

الصحن:

يعد فضاء أساسي في البيت الإسلامي وذو أهمية بالغة من الناحيتين المناخية والاجتماعية، ويحس المرء فيه بالانتقال من بساطة المظهر الخارجي إلى جو الجمال الفني، إذ حظيت عناصره بالعناية المعمارية والفنية، فأرضيته تكون غالبا مبلطة بالرخام أو الحجارة البيضاء مرصةفة بعناية وبأشكال هندسية. ويتوسط الصحن عموما بركة أو حوض مائي يكون بأشكال مختلفة، تخرج من وسطه نافورة,

الوحدات السكنية:

تحيط بالصحن جميع الوحدات السكنية، وينفتح في جانب من جوانبه الأربعة إيوان يطل على الصحن بواسطة عقد تشكله أحجار ملونة، وترتفع أرضية الإيوان بمقدار درجة عن أرضية الصحن، وتوجد فيه أحيانا دكة (مصطبة) للجلوس، وعلى جانبي الإيوان غرفتان مفتوحتان نحوه، وتكونان مزودتان بنافذتين مفتوحتين نحو الصحن، وتكون هذه المجموعة جناح خاص، وفي جانب من الصحن نجد غرفا متجاورة ، وقد نجد رواقا يتقدم الغرفليحميها من حرارة الشمس,

وفي جهة توجد قاعة كبيرة لاستقبال الضيوف وتكون مرتفعة عن أرضية الصحن، ويقام تحتها أحيانا قبو ينزل إليه بواسطة درج، وهذا القبو يكون مخصص لحفظ المؤن وتزود بعض البيوت بالمغارة التي تكون أكثر عمقا من القبو لاسيما في الشام والعراق حيث يطلق عليها اسم "سرداب".

يوجد في جانب من الصحن مطبخ، وقد نجد أحيانا حماما في حجم صغير

بيوت الفسطاط:

عثر في الفسطاط بمصر على بيوت تعود إلى العهد العباسي من خلال حفريات قام بها الباحث علي بهجت والسير كأبريل، ويعود تاريخها إلى العهدين الطولوني والفاطمي، أي حوالي القرن الثالث والخامس الهجريين.

ويبدو التشابه كبيرا بين هذه البيوت وبيوت قصر الأخيضر، وهذا ليس غريبا إذا ما عرفنا أن أحمد بن طولون قد تنقل إلى مصر من سامراء.

لقد تعددت الوحدات السكنية في بيوت الفسطاط، وزودت بعضها بجناح إضافي يجاور المدخل، ولديه صحن خاص صغير لعله جناح الخدم، كما تعددت الأواوين المطلة على الصحن، وأصبحت في البيوت الكبيرة بعدد ثلاثة وأربعة، ويحتوي الصحن بالإضافة إلى الأحواض الزرع وبركة الماء على فسقية في إيوان أحد الأجنحة، ونجد في بيوت الفسطاط اهتماما بالمدخل الذي صار ممرا منكسرا داخل ممر طويل وهذا ما أعطى للصحن عزلة تامة عن الخارج.

تمتاز بيوت الفسطاط بعدم انتظام حدودها الخارجية وعدم استقامة جدران الغرف والوحدات السكنية الأخرى فلا وجود للزوايا القائمة باستثناء الأقسام الرئيسية كالصح والرواق، ولعل السبب في ذلك يعود إلى تداخل أجزاء من البيوت الأخرى أو لتوسعة البيت، وذلك بإضافة أجزاء جديدة مع مرور الزمن.

والتساؤل المطروح هنا حول وجود الطوابق العليا من عدمها في ظل استخدام الطوب والآجر كمادة للبناء، كما يجهل طريقة التسقيف.

بيت السباعي بدمشق:

يقع في شارع حسن الخراط بدمشق القديمة، مدخله الرئيسي في جادة السلمي ومدخلاه الثانويين من جادة العربد، والمدخل الرئيسي عبارة عن بهو إلى قاعة خلفية ثم إلى الحرملك وباب ينفتح نحو صحن السلاملك الذي يتوسطه حوض مائي مثمن الشكل.

يعود تاري إنشاء البيت إلى سنة 1798م، وتبلغ مساحته 150م^2، ويتألف من طابقين يضمان 17 غرفة.

يوجد في ضلع الصحن الجنوبي إيوان وقاعة وسلم يصعد بواسطته إلى الطابق العلوي، ثم مدخل السلاملك، ويوجد في ضلعه الغربي قاعة متوسطة الأبعاد، وفي ضلعه الشرقي توجد غرفة ومطبخ، وتضم الزاوية الجنوبية الغربية مدخل الجناح الخدم والمطبخ ودورة المياه.

صحن الحرملك واسع يتوسطه حوض مثمن الشكل، ويوجد على ضلعه الجنوبي إيوان رئيسي ذو قاعتين وبجانبه دورات المياه، وفي ضلعه الشمالي قاعة كبيرة، وفي ضلعه الشرقي غرفتان وسلم يؤدي إلى الطابق العلوي، حيث يحوي قاعة وغرفا متعددة، وأما ضلعه الغربي فيحوي بيت المؤونة ومطبخ تعلوهما قاعة ذات حوض مثمن الشكل وغرفة خلفية ملحقة ثم سلم يؤدي إلى الجزء الخلفي من البيت.

بيت العظم:

بناه الباشا الأعظم والي دمشق سنة 1749م، واستغرق البناء ثلاث سنوات، لكنه تعرض لأضرار كبيرة خلال القصف الفرنسي لدمشق سنة 1925م، وتم ترميمه ليصبح من أجمل نماذج العمارة السكنية الإسلامية بدمشق.

يقع البيت وسط مدينة دمشق القديمة ما بين الجامع الأموي شمالا إلى سوق متحت بشا جنوبا ويمتد على مساحة قدرها 550م2.

ينقسم البيت إلى جناحين رئيسيين الحرملك والسلاملك.

بيت اجق باش:

يقع في حي الجديدة شمال غرب مدينة حلب السورية خارج أسوار المدينة القديمة، ويعود تاريخ بناء هذا البيت إلى سنة 1172هـ/ 1758م، كان ملكا لعائلة قاره آلي ثم عائلة آجق باش، لقد تحول البيت إلى مسكن جماعي لبعض العائلات الفقيرة، وتم تقطيع جزء منه أثناء توسيع الشارع المؤدي من ساحة الحطب إلى بوابة القصب، وظف البيت حاليا كمتحف للتقاليد الشعبية، فأصبح ملكا للمديرية العامة للآثار منذ 1979م.

البيت ذو تصميم مستطيل الشكل، يوجد في ضلعه الجنوبي انكسارات فتضيق نحو الشمال، ويتوسطه صحن مستطيل الشكل مكشوف في وسطه بركة مائية دائرية المسقط، ويقع المدخل الرئيسي في الواجهة الجنوبية، فعبر المدخل يتم الولوج إلى ممر يؤدي إلى الصحن الذي تتوزع حوله فضاءات البيت وجاء حوض الزرع أمام غرفة الاستقبال، وقد

حددت أبعاد حوض الزرع والبركة بأشرطة من الرخام الأسود، ويوجد وسط البركة نافورة، كما يوجد بئر بين البركة وحوض الزرع.

بيت الكريتيلية (الكريديلية):

هو عبارة عن مسكنين يتصلان في الأعلى عن طريق ساباط، ويعرف حاليا بمتحف الكريتيلية، أو متحف جابر أندرسون، وهو ضابط إنجليزي كان من هواة جمع التحف الإسلامية فطلب من لجنة حفظ الآثار العربية تسليمه منزل الكريتيلية ليعرض فيها مجموعته الأثرية فوافقت اللجنة وأضافت إليه المنزل المقابل له، وهو بيت آمنة بنت سالم، وذلك مقابل متحه المجموعة الأثرية لمصر.

أنشأ بيت الكريتيلية الحاج محمد بن سالم بن جلمام الجزار سنة 1041هـ/ 1631م، ويقع على يمين الداخل من ممر الموصل إلى الباب الشرقي يجامع بن طولون، ونسب هذا البيت إلى الكريتيلية أو الكريديلية نسبة إلى آخر ماليه وهي سيدة ينتهي نسبها إلى عائلة كريتية.

يوجد المدخل الرئيسي في الواجدة القبلية أسفل الساباط، الدخل منكسر نحو اليسار يؤدي إلى الصحن الذي يحتوي على كثير من التفاصيل الفنية، حيث أبدع الفنان في تزيين الواجهة الشمالية، وتنوعت عقود الأبواب المحيطة بالصحن، وفي الواجهة الشرقية شبابيك من الخشب والجص.

وأما المقعد (الدرقاعة) فيشرف على الصحن في جهته القبلية ببائكة تتكون من عقدين يرتكزان على عمودين رخاميين، وسقف المقعد مزين بزخارف مذهبة وتحمل نصا كتابيا يحمل اسم المنشئ وتاريخ بتاء المبنى، ومن المقعد يصل الزائر إلى قاعة كبيرة تطل على المدخل الرئيسي، وقد صممت هذه القاعة لجلوس الرجال في الشتاء، ومنها نصل إلى حجرة صغيرة تشرف على الواجهة الشرقية، ثم إلى حجرة كبيرة تشرف على الواجهة الشمالية والغربية وتمتاز بكثرة عدد المشربيات، كما يزين سقفها زخارف متنوعة.

قد ألق بهذا المنزل سبيل بالناحية الجنوبية الشرقية يحمل سقفه زخارف، وكانت تخزن فيه المياه الضرورية للبيت.

واجهات البيت الخارجية خالية من التشكيلات الزخرفية فيما عدا المدخل الرئيسي وتلك المشربيات الخشبية الجميلة.

بيت السحيمي:

يقع في حي الجمالية أحد أحياء القاهرة بشارع الدرب الأصغر، وقد بني في العهد العثماني، ويتكون من قسمين الأول وهو الجنوبي وأنشأه الشيخ عبد الوهاب الطبلاوي سنة 1058هـ/1648م، والثاني وهو الشمالي أنشأه الحاج إسماعيل بن شلبي سنة 1211هـ/ 1796م وجعل من القسمين بيتا واحدا سماه أمين السحيمي شيخ رواق الأتراك بجامع الأزهر وتوفى سنة 1928م.

يشتمل بيت السحيمي على قاعات يتألف كل منها على إيوانين بينهما درقاعة وبعضها ذات واجهات من خشب الخرط، تشرف على الحديقة التي تتوسط البيت وتمثل الصحن، وبعض القاعات مغطاة بالرخام، وفي القسم الشمالي من البيت حجرة مركبة على تحتبوش محمول على عمود رخامي.

وقد كسيت جدران بعض القاعات بلوحات خشبية شبيهة بالبلاطات الخزفية، وأحيانا تزين الجدران بالبلاطات الخزفية، وأما الأرضيات فمكسية بالرخام، ويشتمل البيت على حمام وسلالم تؤدي إلى الطوابق العليا، ويوجد بأجد أركان الحديقة طاحونة وساقية،